

١



عَمْرُو بنُ العَاصِ ❖ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ

أُسَامَةُ بنُ زَيدٍ



بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة نجوم الصحابة (٧)

الأُمَـــرَاء

(١)

إعداد

شعبان مصطفى قزامل

الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم التسلسل
(٦٢)





دمشق ، حلبوني - ص ب: ٢٥٢٣٧ - فاكس: ٢٤٥٤٠١٣
هاتف: ٢٤٥٣٦٣٨ (٩٦٣١١ +) - جوال: ٠٩٤٤ ٤٥٣٦٣٨
البريد الالكتروني: algawthani@scs-net.org

بسم الله الرحمن الرحيم

لِلإِمَارَةِ فِي الإِسْلَامِ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ، فَبِهَا تُنَظَّمُ الدَّوْلَةُ، وَتُرَتَّبُ شُؤُونُهَا، وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى العَبْقَرِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَقَد تَنَوَّعَتِ الإِمَارَةُ فِي الإِسْلَامِ، فَهُنَاكَ الأَمِيرُ عَلَى البَلْدَةِ، أَوِ القُطْرِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الحَاكِمِ لَهَا، وَهُنَاكَ الأَمِيرُ لِلدَّعْوَةِ وَالصَّلَاةِ، وَهُنَاكَ الأَمِيرُ عَلَى الجَيْشِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيُشْتَرَطُ لِلإِمَارَةِ أَنْ يَكُونَ مَنْ يَتَوَلَّاهَا أَهْلًا لَهَا، قَادِرًا عَلَى تَحَمُّلِ المَسْؤُولِيَّةِ، وَأَلَّا يَكُونَ طَالِبًا لَهَا، سَاعِيًا وَرَاءَهَا، إِلَّا إِذَا لَمْ يَجِدْ غَيْرَهُ كُفْئًا لِهَذِهِ المَكَانَةِ العَظِيمَةِ، إِذْ قَالَ يُوسُفُ - عَلَيهِ السَّلَامُ - لِمَلِكِ مِصْرَ ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٥٥].

وَلَا تُعْطَى الإِمَارَةُ لِلضَّعِيفِ، وَلِذَا رَفَضَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يُؤَمِّرَ أَبَا ذَرٍّ لِضَعْفِهِ، فَكُلُّ رَاعٍ مَسْؤُولٌ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ اللهُ؛ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ، وَهَذِهِ بَعْضُ النَّمَاذِجِ مِنَ الصَّحَابَةِ الأُمَرَاءِ، وَهُمْ قُدْوَةٌ لِلْأُمَرَاءِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَحِينٍ، فَلْنَأْخُذْ مِنْهُمُ العِبْرَةَ وَالعِظَةَ.

عَمْرُو بنُ العَاص

حِكَايَةُ إِسْلامِهِ:

إِنَّهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ عَمْرُو بنُ العَاصِ بنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ ﷺ، أَحَدُ فُرْسَانِ قُرَيشٍ وَأَبْطَالِهَا، أَذْكَى رِجَالِ العَرَبِ، وَأَشَدُّهُمْ دَهَاءً وَحِيلَةً، أَسْلَمَ قَبْلَ فَتْح مَكَّةَ. وَكَانَ سَبَبُ إِسْلَامِهِ أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ التَرَدُّدِ عَلَى الحَبَشَةِ، وَكَانَ صَدِيقًا لِمَلِكِهَا النَّجَاشِيِّ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ ذَاتَ مَرَّةٍ: يَا عَمْرُو، كَيفَ يَعْزُبُ عَنْكَ أَمْرُ ابْنِ عَمِّكَ؟ فَوَاللهِ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ حَقًّا. قَالَ عَمْرٌو: أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِيْ وَاللهِ، فَأَطِعْنِي [ابنُ هِشَامٍ وَأَحْمَدُ].

فَخَرَجَ عَمْرٌو مِنَ الحَبَشَةِ قَاصِدًا المَدِينَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ صَفَرَ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الهِجْرَةِ، فَقَابَلَهُ فِي الطَّرِيقِ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بنُ طَلْحَةَ، وَكَانَا فِي طَرِيقِهِمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى المَدِينَةِ، وَأَسْلَمُوا بَينَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَايَعُوهُ.

الأَمِــيـــرُ:

أَرْسَلَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ يومًا فَقَالَ لَهُ: «خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ، وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي».

فَجَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ، فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً صَالِحَةً مِنَ

المَالِ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ المَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ، وَلِأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ ﷺ: «نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ» [أَحْمَد].

وَكَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ مُجَاهِدًا شُجَاعًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَعْمَلُ عَلَى رَفْعِ لِوَاءِ الإِسْلَامِ وَنَشْرِهِ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِفُ لِعَمْرٍو شَجَاعَتَهُ وَقُدْرَتَهُ الحَرْبِيَّةَ، فَكَانَ يُولِيهِ قِيَادَةَ بَعْضِ الجُيُوشِ وَالسَّرَايَا، وَكَانَ يُحِبُّهُ وَيُقَرِّبُهُ، وَيَقُولُ عَنْهُ: «عَمْرُو بنُ العَاصِ مِنْ صَالِحِي قُرَيْشٍ، نِعْمَ أَهْلُ البَيْتِ أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَأُمُّ عَبْدِ اللهِ، وَعَبدُ اللهِ» [أَحْمَد]. وَقَالَ ﷺ: «ابْنَا العَاصِ مُؤْمِنَانِ، عَمْرٌو وَهِشَامٌ» [أَحْمَد وَالحَاكِم].

ذَاتُ السَّلَاسِلِ:

وَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ فِي جُمَادَى الآخِرَة سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَجَعَلَ أَمِيرَهَا عَمْرَو بنَ العَاصِ ﷺ، وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَمْرَو بنَ العَاصِ وَالِيًا عَلَى عُمَانَ، فَظَلَّ أَمِيرًا عَلَيهَا حَتَّى تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ. وَقَدْ شَارَكَ عَمْرُو بنُ العَاصِ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ وَأَبْلَى فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا.

أَمِيرُ فِلَسْطِينَ:

فِي عَهْدِ الفَارُوقِ عُمَرَ ﷺ تَوَلَّى عَمْرُو بنُ العَاصِ إِمَارَةَ

فِلَسْطِينَ. وَكَانَ عُمَرُ يُحِبُّهُ وَيَعْرِفُ لَهُ قَدْرَهُ وَذَكَاءَهُ، فَكَانَ يَقُولُ عَنْهُ: مَا يَنْبَغِي لِأَبِي عَبْدِ اللهِ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا أَمِيرًا [ابْنُ عَسَاكِر].

وَكَانَ عُمَرُ ﷺ إِذَا رَأَى رَجُلًا قَلِيلَ العَقْلِ أَوْ بَطِيءَ الفَهْمِ يَقُولُ: خَالِقُ هَذَا وَخَالِقُ عَمْرِو بنِ العَاصِ وَاحِدٌ.

فَاتِحُ مِصْرَ:

كَانَ عَمْرٌو يَتَمَنَّى أَنْ يَفْتَحَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ مِصْرَ، فَظَلَّ يُحَدِّثُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ عَنْهَا، حَتَّى أَقْنَعَهُ، فَأَمَّرَهُ الفَارُوقُ قَائِدًا عَلَى جَيْشِ المُسْلِمِينَ لِفَتْحِ مِصْرَ وَتَحْرِيرِهَا مِنْ أَيْدِي الرُّومِ، فَسَارَ عَمْرٌو بِالجَيْشِ، وَاسْتَطَاعَ بَعْدَ كِفَاحٍ طَوِيلٍ أَنْ يَفْتَحَهَا، وَيُحَرِّرَ أَهْلَهَا مِنْ ظُلْمِ الرُّومَانِ وَطُغْيَانِهِمْ، وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَدْخُلُ المِصْرِيُّونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.

عَمْرٌو فِي مِصْرَ:

وَأَصْبَحَ عَمْرُو بنُ العَاصِ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ بَعْدَ فَتْحِهَا، فَأَنْشَأَ مَدِينَةَ الفُسْطَاطِ، وَبَنَى المَسْجِدَ الجَامِعَ الَّذِي يُعْرَفُ حَتَّى الآنَ بِاسْمِ جَامِعِ عَمْرٍو، وَكَانَ شَعْبُ مِصْرَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، وَيَنْعَمُ فِي ظِلِّهِ بِالعَدْلِ وَالحُرِّيَّةِ وَرَغَدِ العَيْشِ، وَكَانَ عَمْرٌو يُحِبُّ المِصْرِيِّينَ وَيَعْرِفُ لَهُمْ قَدْرَهُم.

عَودَةٌ ثَانِيَةٌ:

ظَلَّ عَمْرُو بنُ العَاصِ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ حَتَّى عَزَلَهُ عَنْهَا عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ رضي الله عنه ، ثُمَّ تُوُفِّيَ عُثْمَانُ ، وَجَاءَتِ الفِتْنَةُ الكُبْرَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ رضي الله عنهما ، فَوَقَفَ عَمْرُو بنُ العَاصِ بِجَانِبِ مُعَاوِيَةَ ، حَتَّى صَارَتِ الخِلَافَةُ إِلَيْهِ ، فَعَادَ عَمْرٌو إِلَى مِصْرَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَظَلَّ أَمِيرًا عَلَيهَا حَتَّى حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ .

مَوتُ الأَمِيرِ:

وَمَرِضَ عَمْرٌو مَرَضَ المَوتِ ، فَدَخَلَ عَلَيهِ ابْنُهُ عَبدُ اللهِ رضي الله عنه ، فَوَجَدَهُ يَبْكِي ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتَاهْ ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا ؟

فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَائِفٌ مِنْ أَنَّهُ تَوَلَّى الإِمَارَةَ ، وَلَا يَدْرِي كَيفَ يُحَاسَبُ عَلَيهَا ، فَقَالَ لَهُ: ثُمَّ وُلِّينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ ، فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابِ شَنًّا ، ثُمَّ أَقِيمُوا حَولَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ (الوَقْتُ الَّذِي تُذْبَحُ فِيهِ نَاقَةٌ) ، وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا ؛ حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي » [مُسْلِم] .

وَتُوُفِّيَ عَمْرٌو سَنَةَ (٤٣ هـ) وَقَد تَجَاوَزَ عُمُرُهُ (٩٠) عَامًا .

وَقَدْ رَوَى عَمْرٌو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (٣٩) حَدِيثًا .

خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ

إِنَّهُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ﷺ، القَائِدُ العَبْقَرِيُّ الَّذِي لَا تَزَالُ خُطَطُهُ الحَرْبِيَّةُ فِي مَعَارِكِهِ مَثَارَ إِعْجَابِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ.

مِفْتَاحُ إِسْلامِهِ:

كَانَ خَالِدٌ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ يُحَارِبُ الإِسْلَامَ، وَقَادَ جَيْشَ المُشْرِكِينَ يَومَ أُحُدٍ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُحَوِّلَ نَصْرَ المُسْلِمِينَ إِلَى هَزِيمَةٍ بَعْدَ أَنْ هَاجَمَهُمْ مِنَ الخَلْفِ، عِنْدَمَا تَخَلَّى الرُّمَاةُ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ، وَظَلَّ خَالِدٌ عَلَى شِرْكِهِ حَتَّى كَانَ عَامُ الحُدَيْبِيَة، فَأَرْسَلَ إِلَيهِ أَخُوهُ الوَلِيدُ بنُ الوَلِيدِ كِتَابًا، جَاءَ فِيهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الإِسْلَام، وَعَقْلُكَ عَقْلُكَ!! وَمِثْلُ الإِسْلَامِ يَجْهَلُهُ أَحَدٌ؟! وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْكَ، فَقَالَ: «أَيْنَ خَالِدٌ؟» فَقُلْتُ: يَأْتِي اللهُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِثْلُهُ جَهِلَ الإِسْلَامَ؟ وَلَو كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ وَجِدَّهُ مَعَ المُسْلِمِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ». فَاسْتَدْرِكْ يَا أَخِي مَا فَاتَكَ، فَقَدْ فَاتَتْكَ مَوَاطِنُ صَالِحَةٌ.

إِلَى المَدِينَةِ:

قَرَأَ خَالِدٌ كِتَابَ أَخِيهِ، وانْشَرَحَ صَدْرُهُ لِلإِسْلَامِ، فَخَرَجَ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بنَ طَلْحَةَ، فَحَدَّثَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى المَدِينَةِ،

فَشَجَّعَهُ عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ، وَخَرَجَا مَعًا، فَقَابَلَهُمَا عَمْرُو بنُ العَاصِ، وَعَرَفَا مِنْهُ أَنَّهُ يُرِيدُ الإِسْلَامَ أَيْضًا، فَتَصَاحَبُوا جَمِيعًا إِلَى المَدِينَةِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ صَفَرَ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الهِجْرَةِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَحَّبَ بِهِمْ، فَأَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ، فَقَالَ ﷺ لِخَالِدٍ: «قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ عَقْلًا رَجَوْتُ أَلَّا يُسْلِمَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ» [ابنُ سَعْدٍ]. قَالَ خَالِدٌ: اسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ مَا أَوْضَعْتُ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ.

فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الإِسْلَامَ يَجُبُّ (يُزِيلُ) مَا كَانَ قَبْلَهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بنِ الوَلِيدِ كُلَّ مَا أَوْضَعَ مِنْهُ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِكَ» [ابنُ سَعْدٍ].

الأَمِيرُ الجَدِيدُ:

وَمُنْذُ ذَلِكَ اليَومِ وَخَالِدٌ يُدَافِعُ عَنْ رَايَةِ اللهِ، وَيُجَاهِدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الحَقِّ، وَخَرَجَ مَعَ جَيْشِ المُسْلِمِينَ المُتَّجِهِ إِلَى مُؤْتَةَ تَحْتَ إِمَارَةِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ، وَيُوصِي الرَّسُولُ ﷺ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ» [البُخَارِيُّ]، فَلَمَّا قُتِلَ الثَّلَاثَةُ وَأَصْبَحَ الجَيْشُ بِلَا أَمِيرٍ، جَعَلَ المُسْلِمُونَ خَالِدًا أَمِيرَهُمْ، وَاسْتَطَاعَ خَالِدٌ أَنْ يَسْحَبَ جَيْشَ المُسْلِمِينَ وَيَنْجُوَ بِهِ.

فَتْحُ مَكَّةَ:

فِي فَتْحِ مَكَّةَ، أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ العُزَّى، وَكَانَ بَيْتًا عَظِيمًا لِقُرَيشٍ وَلِقَبَائِلَ أُخْرَى، فَهَدَمَهُ خَالِدٌ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا عُزُّ كُفْرَانَكَ لا سُبْحَانَكْ إِنِّي رَأيتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكْ

يَومَ حُنَينٍ:

كَانَ خَالِدٌ يَومَ حُنَيْنٍ فِي مُقَدِّمَةِ جَيْشِ المُسْلِمِينَ، وَجُرِحَ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيهِ وَيَعُودَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ نَفَثَ فِي جُرْحِهِ فَشُفِيَ بِإِذْنِ اللهِ.

مُوَاصَلَةُ الجِهَادِ:

وَاسْتَمَرَّ خَالِدٌ فِي جِهَادِهِ وَقِيَادَتِهِ لِجَيشِ المُسْلِمِينَ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَحَارَبَ المُرْتَدِّينَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ، وَمُدَّعِي النُّبُوَّةِ، وَرَفَعَ رَايَةَ الإِسْلَامِ لِيَفْتَحَ بِهَا بِلَادَ العِرَاقِ وَبِلَادَ الشَّامِ، فَقَدْ كَانَ الجِهَادُ هُوَ كُلَّ حَيَاتِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: مَا مِنْ لَيْلَةٍ يُهْدَى إِلَيَّ فِيهَا عَرُوسٌ أَنَا لَهَا مُحِبٌّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ البَرْدِ كَثِيرَةِ الجَلِيدِ فِي سَرِيَّةٍ أُصَبِّحُ فِيهَا العَدُوَّ [أبو يَعْلَى].

وَكَانَ خَالِدٌ مُخْلِصًا فِي جِهَادِهِ، فَفِي حَرْبِ الرُّومِ قَامَ فِي جُنْدِهِ خَطِيبًا، وَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ: إِنَّ هَذَا يومٌ مِنْ أَيَّامِ اللهِ، لَا

يَنْبَغِي فِيهِ الفَخْرُ وَلَا البَغْيُ ، أَخْلِصُوا جِهَادَكُمْ وَأَرِيدُوا اللهَ بِعَمَلِكُمْ. وَكَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ دَائِمًا يَطْمَعُ فِي إِسْلَامِ مَنْ يُحَارِبُهُ ، فَكَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ أَوَّلًا ، فَهُوَ يُحِبُّ لِلنَّاسِ الإِيْمَانَ وَلَا يَرْضَى لَهُمْ دُخُولَ النَّارِ ، فَإِنْ أَبَوا فَالجِزْيَةُ ، ثُمَّ الحَرْبُ.

سَيْفُ اللهِ المَسْلُولُ:

كَانَ اسْمُ خَالِدٍ يَسْبِقُهُ فِي كُلِّ مُوَاجَهَةٍ لَهُ مَعَ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ ، وَكَانَ الجَمِيعُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ عَبْقَرِيَّتِهِ ، وَقُوَّةِ بَأْسِهِ فِي الحَرْبِ ، فَفِي مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكِ خَرَجَ جُرْجَةُ أَحَدُ قَادَةِ الرُّومِ مِنْ صُفُوفِ جُنْدِهِ ، وَطَلَبَ مِنْ خَالِدٍ الحَدِيثَ مَعَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيهِ خَالِدٌ ، فَقَالَ جُرْجَةُ: أَخْبِرْنِي فَاصْدُقْنِي وَلَا تَكْذِبْنِي ، فَإِنَّ الحُرَّ لَا يَكْذِبُ ، وَلَا تُخَادِعْنِي فَإِنَّ الكَرِيمَ لَا يُخَادِعُ ، هَلْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاهُ لَكَ فَلَا تَسُلَّهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا هَزَمْتَهُمْ ؟ فَقَالَ خَالِدٌ: لَا.

فَسَأَلَهُ جُرْجَةُ: فَبِمَ سُمِّيتَ سَيْفَ اللهِ ؟ فَرَدَّ عَلَيهِ خَالِدٌ قَائِلًا: إِنَّ اللهَ بَعَثَ فِينَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَدَعَانَا لِلإِسْلَامِ فَرَفَضْنَا دَعْوَتَهُ ، وَعَذَّبْنَاهُ ، وَحَارَبْنَاهُ ، ثُمَّ هَدَانَا اللهُ فَأَسْلَمْنَا ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ ، سَلَّهُ اللهُ عَلَى المُشْرِكِينَ» ، وَدَعَا لِي بِالنَّصْرِ ، فَسُمِّيتُ سَيفَ اللهِ بِذَلِكَ ، فَأَنَا مِنْ أَشَدِّ المُسْلِمِينَ عَلَى المُشْرِكِينَ.

ثُمَّ سَأَلَهُ جُرْجَةُ عَنْ دَعْوَتِهِ، وَعَنْ فَضْلِ مَنْ يَدْخُلُ فِي الإِسْلَامِ، وَبَعْدَ حِوَارٍ طَوِيلٍ دَخَلَ جُرْجَةُ الإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكْعَتَينِ مَعَ خَالِدٍ، ثُمَّ حَارَبَ مَعَ صُفُوفِ الإِيْمَانِ، فَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِ بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِهِ عَزَّ وَجَلَّ.

خَالِدٌ الجُنْدِيُّ:

عِنْدَمَا تَوَلَّى الفَارُوقُ عُمَرُ الخِلَافَةَ، عَزَلَ خَالِداً مِنَ القِيَادَةِ، وَوَلَّى أَبَا عُبَيدَةَ بنَ الجَرَّاحِ قِيَادَةَ الجَيْشِ، فَحَارَبَ خَالِدٌ تَحْتَ رَايَةِ الحَقِّ جُنْدِيًّا مُخْلِصاً مُطِيعاً لِقَائِدِهِ لَا يَدَّخِرُ جُهْداً وَلَا رَأْياً فِي صَالِحِ الدِّينِ وَنُصْرَةِ الحَقِّ، فَكَانَ نِعْمَ القَائِدُ وَنِعْمَ الجُنْدِيُّ.

مَرَضُهُ وَوَفَاتُهُ:

ظَلَّ خَالِدٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ رَبِّهِ حَتَّى مَرِضَ مَرَضَ المَوتِ، فَكَانَ يَبْكِي عَلَى فِرَاشِ المَوتِ، وَيَقُولُ: لَقَدْ حَضَرْتُ كَذَا وَكَذَا زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةُ سَيْفٍ أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ البَعِيرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاءِ.

وَتُوُفِّيَ رضي الله عنه بِحِمْصَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ سَنَةَ (٢١ هـ).

أسامة بن زيد

إِنَّـهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ رضي الله عنه، وَهُوَ ابنُ صَحَابِيَّيْنِ كَرِيمَيْنِ مِنْ أَوَائِلِ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلَامِ، فَأَبُوهُ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ، وَأُمُّهُ السَّيِّدَةُ أُمُّ أَيْمَنَ حَاضِنَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُرَبِّيَتُهُ.

الحِبّ بنُ الحِبّ:

كَانَ شَدِيدَ السَّوَادِ، خَفِيفَ الرُّوحِ، شُجَاعًا، رَبَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَحَبَّهُ حُبًّا كَثِيرًا، كَمَا كَانَ يُحِبُّ أَبَاهُ، فَسُمِّيَ الحِبَّ ابنَ الحِبِّ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْخُذُهُ هُوَ وَالحَسَنَ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا» [أَحْمَدُ وَالبُخَارِي].

وَكَانَ أُسَامَةُ شَدِيدَ التَّوَاضُعِ، حَادَّ الذَّكَاءِ، يَبْذُلُ أَقْصَى مَا عِنْدَهُ فِي سَبِيلِ دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ.

مُلازِمُ الرَّسُولِ ﷺ:

وَخَرَجَ أُسَامَةُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَامَ الفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ رَاكِبًا خَلْفَهُ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ، وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الكَعْبَةَ لِيُصَلِّيَ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَهُ أُسَامَةُ وَبِلَالٌ، فَوَقَعَ أُسَامَةُ عَلَى الأَرْضِ فَجُرِحَتْ جَبْهَتُهُ؛ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مُسْرِعًا لِيَمْسَحَ الدَّمَ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهَا حَتَّى وَقَفَ النَّزْفُ.

دَرْسٌ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ:

ذَاتَ يَوْمٍ، تَلَقَّى أُسَامَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ دَرْسًا لَا يَنْسَاهُ أَبَدًا، يَقُولُ أُسَامَةُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الحَرْقَةِ فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا الرَّسُولُ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ. ثُمَّ قَالَ أُسَامَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ: إِنِّي أُعْطِي اللهَ عَهْدًا، أَلَّا أَقْتُلَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَبَدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَعْدِي يَا أُسَامَةُ؟» قَالَ: بَعْدَكَ [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

أُسَامَةُ الأَمِيرُ:

قَدْ حَمَلَ أُسَامَةُ كُلَّ صِفَاتِ وَمَوَاهِبِ القَائِدِ الشُّجَاعِ، مِمَّا زَادَ مِنْ إِعْجَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ، فَجَعَلَهُ قَائِدًا لِجَيْشِ المُسْلِمِينَ لِغَزْوِ الرُّومِ.

وَجَعَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ فِيهِ كِبَارُ الصَّحَابَةِ، كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَاسْتَكْثَرَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ عَلَى أُسَامَةَ كُلَّ هَذَا،

وَتَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ، وَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ صَعِدَ المِنْبَرَ وَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ أَثْنَى عَلَيهِ وَقَالَ: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ (أَيْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ)؛ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ، إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ (لَجَدِيْرًا بِهَا)، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ (يَقْصِدُ زَيدَ ابنَ حَارِثَةَ)، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ» [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

وَيَمُوتُ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ جَيْشُ أُسَامَةَ إِلَى غَايَتِهِ الَّتِي حَدَّدَهَا الرَّسُولُ ﷺ وَهِيَ قِتَالُ الرُّومِ، وَقَبْلَ أَنْ يَمُوتَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَى أَصْحَابَهُ أَنْ يُسَارِعُوا بِتَحْرِيكِ جَيْشِ أُسَامَةَ فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ، أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ» [ابْنُ حَجَرٍ فِي الفَتْحِ].

سَلامَةُ الجَيْشِ:

تَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ الخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيُصِرُّ عَلَى إِنْجَازِ وَصِيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَيَقُولُ لَهُ عُمَرُ: إِنَّ الأَنْصَارَ تَرَى أَنْ يَتَوَلَّى قِيَادَةَ الجَيْشِ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ سِنًّا مِنْ أُسَامَةَ، فَيَغْضَبُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَيَقُولُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا بْنَ الخَطَّابِ، اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَأْمُرُنِي أَنْ أَنْزِعَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السِّبَاعَ تَخْطَفُنِي، لأَنْفَذْتُ بَعْثَ أُسَامَةَ.

وَيَخْرُجُ القَائِدُ أُسَامَةُ مِنَ المَدِينَةِ بِجَيْشِهِ، وَيَخْرُجُ مَعَهُ أَبُو

بَكْرٍ مُوَدِّعًا، وَبَيْنَمَا أُسَامَةُ رَاكِبٌ عَلَى فَرَسِهِ، إِذَا بِأَبِي بَكْرٍ يَسِيرُ عَلَى قَدَمَيْهِ، فَيَسْتَحِي أُسَامَةُ مِنْ هَذَا المَوقِفِ، وَيَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاللهِ لَتَرْكَبَنَّ أَو لَأَنْزِلَنَّ. فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَا نَزَلْتَ، وَوَاللهِ لَا رَكِبْتُ، وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُغَبِّرَ قَدَمِي فِي سَبِيلِ اللهِ سَاعَةً؟ ثُمَّ يَسْتَأْذِنُ أَبُو بَكْرٍ مِنْ أُسَامَةَ أَنْ يُبْقِيَ مَعَهُ عُمَرَ فِي المَدِينَةِ لِيُعِينَهُ عَلَى أُمُورِ الحُكْمِ، فَيُعْطِي أَعْظَمَ قُدْوَةٍ فِي اسْتِئْذَانِ القَائِدِ مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا.

وَانْطَلَقَ جَيْشُ أُسَامَةَ إِلَى البَلْقَاءِ، لِيُهَاجِمَ القُرَى الَّتِي حَدَّدَهَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخَلِيفَتُهُ أَبُو بَكْرٍ، وَانْسَحَبَتِ الرُّومُ مُنْهَزِمَةً، وَاسْتَطَاعَ الجَيْشُ أَنْ يُرْعِبَ أَعْرَابَ البَادِيَةِ، وَعَادَ إِلَى المَدِينَةِ مُنْتَصِرًا سَالِمًا بِلَا ضَحَايَا، فَيُقَابِلُهُ المُسْلِمُونَ بِالبِشْرِ وَالفَرْحَةِ وَهُمْ يَقُولُونَ: مَا رَأَينَا جَيْشًا أَسْلَمَ مِنْ جَيْشِ أُسَامَةَ.

بَينَ أُسَامَةَ وَابْنِ عُمَرَ:

كَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه عِنْدَمَا يُقَسِّمُ أَمْوَالَ بَيْتِ المَالِ عَلَى المُسْلِمِينَ، يَجْعَلُ نَصِيبَ أُسَامَةَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِئَةٍ، فِي حِين يُعْطِي ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، فَيَقُولُ ابنُ عُمَرَ لِأَبِيهِ: لَقَدْ فَضَّلْتَ عَلَيَّ أُسَامَةَ، وَقَدْ شَهِدتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَمْ

يَشْهَدْ، فَيَرُدُّ عَلَيهِ عُمَرُ قَائِلًا: إنَّ أُسَامَةَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكَ، وَأَبُوهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَبِيكَ.
[التِّرْمِذِيّ وابنُ سَعْدٍ].

رِسَالَةٌ إِلَى الحَبِيبِ:

عِنْدَمَا نَشِبَتِ الفِتْنَةُ بَينَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ رضي الله عنهما وَقَفَ أُسَامَةُ مُحَايِدًا مَعَ حُبِّهِ الشَّدِيدِ لِعَلِيٍّ، وَبَعَثَ لَهُ رِسَالَةً قَالَ فِيهَا: يَا أَبَا الحَسَنِ إِنَّكَ وَاللهِ لَو أَخَذْتَ بِمِشْفَرِ الأَسَدِ (فَمُهُ) لَأَخَذْتُ بِمِشْفَرِهِ الآخَرِ مَعَكَ حَتَّى نَهْلِكَ جَمِيعًا أَو نَحْيَا جَمِيعًا، فَأَمَّا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ فَوَاللهِ لَا أَدْخُلُ فِيهِ أَبَدًا. وَلَزِمَ أُسَامَةُ دَارَهُ مُدَّةَ النِّزَاعِ حَتَّى لَا يَقْتُلَ مُسْلِمًا.

عَابِدٌ رَغْمَ الكِبَرِ:

كَانَ رضي الله عنه كَثِيرَ العِبَادَةِ، مُحَافِظًا عَلَى صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ مَعَ كِبَرِ سِنِّهِ وَضَعْفِ جِسْمِهِ؛ تَأَسِّيًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَفَاةُ الأَمِيرِ:

تُوُفِّيَ أُسَامَةُ رضي الله عنه فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ سَنَةَ (٥٤هـ)، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

سلسلة نجوم الصحابة

١ - الخُلَفَاءُ الرَاشِدون
٢ - أَهلُ الجنةِ
٣ - القُرَّاءُ
٤ - الأُمَرَاءُ
٥ - العُلَمَاءُ
٦ - الأَوائِلُ
٧ - الشُّهَدَاءُ

٨١٠٠٥٩